لقد قامت الرأسمالية الوسيطة بضرب علاقات الانتاج القديمة لتحل مكانها حركة الرأسمال التجاري ، فاستبدل توزيع وسائل الانتاج بتوزيع الريوع . على هذه القاعدة توحدت الطوائف ، لتشكل توازناتها في المستوى السياسي . فالرأسمالية الوسيطة ملازمة للكيان . أي انها جزء من عملية التجزئة . ان العلاقات الاجتماعية الجديدة التي تقوم في النمط الوسيط ليست تركيبات ايديولوجية . انها أشكال جديدة تضطلع بوظائف جديدة . من هنا ضربت الاشكال الاجتماعية القديمة وأدخلتها مفتتة في الشكل الاجتماعي الجديد . هنا تسقط مقولة « الاقطاع السياسي أداة السيطرة البورجوازية » بسقوط الاقطاع نفسه عبر تعميم الرأسمالية الوسيطة . وما وهم الاقطاع السياسي الا التعبير الايديولوجي عن أزمنة الانتقال المتفاوتة في لبنان الكبير ، حيث ينجز الانتقال الى الرأسمالية الوسيطة في فترات متفاوتة .

يقود هذا الافتراض الاساسي الى استحالة وجود صراع طبقي متبلور في اطار الكيان الوسيط . فشرط تبلور الطبقات كطبقات سياسية ، أي كطبقات تمارس النضال السياسي غير متوفر في اطار الوساطة الاقتصادية المهيمنة . فالشرائح الاجتماعية التي تناضل من أجل تحسين شروطها المعيشية لا تتوحد الا من خارجها أي في المستوى السياسي ، حيث ينعكس الصراع السياسي عليها ليوحدها داخل الطوائف . من هنا لا تستطيع الصراعات الطائفية أن تمس المستوى السياسي بشكل جذري اذا لم تكن تعبيرا أوليا عن تغيرات وطنية جذرية في المحيط العربي ، تضع الهيمنة الامبريالية على بساط الممارسة النضالية الفعلية ، وتنفي الوساطة ، عبر نفيها الكامل للنهب الامبريالي .

ان افتراض الطائفة ككابح للصراع الطبقي ، هو مفهوم ايديولوجي يخفي ممارسة فعلية ، تقوم على اعتبار التجزئة واقعا مسلما به بشكل نهائي أو واقعا يجب تأجيل البحث به حتى استكمال التحولات الاشتراكية في الاقطار والكيانات . هكذا تصبح هذه الممارسة في التحليل الاخير خارج النضال الوحدوي القومي وتنقاد بنيويا الى الارتباط بالخارج .

يخفي هذا المفهوم ممارسة فعلية للصراع الطائفي تحت لفظية الصراع الطبقي . فيقوم فعليا بتفتيت الشارع الوطني ويساهم في توحيد الطائفة المارونية تحت القبضة الفاشية لحزب الكتائب . أي ان اخفاء الاطار الفعلي للصراع داخل الكيان يقود الى وهم امكانية المسير الى الثورة الاشتراكية اللبنانية . هذا الوهم الذي لا يستطيع القفز على الصراع الطائفي ، فيمارسه فعليا . دون أن يستطيع صياغة تكتيكات تناسب المرحلة .

ان هذا التحليل هو الوجه الآخر والمبسط للايديولوجيا اليمينية الفعلية — شيحا وجبثي . التي تقوم على أزلية الكيان التجارة ، لتصوغ دائرية التوازن الطائفي . أما هنا فينقلب هذا التحليل على رأسه بلغة تحديثية ، ليقبل الكيان كاطار للصراع الاجتماعي وليحجب التناقض الرئيسي في المنطقة العربية : التناقض بين حركة التحرر الوطني العربية والامبريالية الاميركية والكيان الصهيوني العدواني .

٤ — دائرية الصراع الطائفي

لقد حاولنا في سياق هذا التحليل دراسة النمط اللبناني باعتباره جزءا من تجزئة المنطقة العربية بالهيمنة الامبريالية . واكتشفنا موضوعة التوازن والسلطة .